

دعوة محمد بن عبد الوهاب في نجد وأثارها في العالم الإسلامي

د. أسامة عبد الله محمد الأمين

أستاذ مساعد بقسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة بخت الرضا

Tel: (+249) 912688100

المستخلص

ارتكزت دعوة محمد بن عبد الوهاب في وحدانية الله ، وترك مظاهر الشرك والبدع ومحاربة الفساد . وقد بدأت دعوته سلماً بالمواعظ والكتب والرسائل للعودة إلى منابع الدين الأولى ، ثم إقامة مجتمعاً إسلامياً متكامل في ظل دولة إسلامية تؤمن بالإسلام عقيدة وعبادة وشريعة ومنهج حياة وتطبق أحكامه في جميع شؤونها . لذا رأى محمد بن عبد الوهاب الاعتماد على سند سياسي يعزز مبادئه الدينية ويدعم حركته الإصلاحية وقد وجد الحماية لدى حاكم الدرعية الأمير محمد بن سعود . استطاعت الدعوة الوهابية بفضل أمراء آل سعود أن يكون لها دور في دولة ما زالت قائمة حتى الآن تنفذ تعاليم الدعوة وهي المملكة العربية السعودية. قد كان لدعوة محمد بن عبد الوهاب أثر عميق في العالم الإسلامي إذ أصبحت مصدر إلهام لمعظم الحركات الإسلامية الأخرى في قارتي آسيا وأفريقيا . كلمات مفتاحية: الدعوة، المظاهر، الإصلاح، آل سعود، الهام

Abstract

The Dawa of Mohammed Abdulwhab was mainly based on monotheism and prohibition of infidelity features, contraption and Perverseness. He commenced his Dawa Peacefully with arguments, He called upon people to return to the original source of Quran, then establishing a true Muslim society under the umbrella of Islamic state believes In Islamic as persuasion, worship, law and system of life also implementing Islamic rules in its all affairs. On this grounds Mohammed bin Abdulwhab was seeking to rely on Political support to reinforce his religious Principles and to strengthen his reformative movement. Fortunately he found support from Aldaria prince Mohammed bin Saud. Mohammed bin Abdulwahab Dawa succeed to play a great role with the sustenance of Saud mirage princes in the existing state implementing his teachings, it is the kingdom of Saudi Arabia. The Dawa of Mohammed Abdulwhab has a profound effect on Islamic world and has been the muse for most other Islamic movements in Asia and Africa continents.

المقدمة

كان العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر الميلادي قد بلغ من التضعف أعظم مبلغ ومن التدني والانحطاط أعظم دركه ، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب ، وتلاشى ما كان باقيا من آثار التهذيب العربي واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع الأهواء والشهوات وماتت الفضيلة في الناس ، وساد الجهل ، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال ، فليس يرى في العالم الإسلامي في ذلك العهد سوى المستبدين العاشمين كسلطان تركيا وآخر ملوك المغول في الهند . وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء، فألبست الوجدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجفاً من الخرافات وقشور الصوفية، وكثر عدد الأعداء الجهلاء، وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان، يحملون في أعناقهم التمام والتعاويد والسبحات، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات، ويرغبون في الحج إلى قبور الأولياء، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور. وغابت عن الناس فضائل القرآن الكريم . وانتشرت الرذائل وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء. ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة، ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام. (ستودارد لوثرروب، د.تو، ص ص 259-260)

على أن هذا الحال ما كان ليوم فقد شهد الحقبة الأخيرة من الخلافة العثمانية عدد كبير من دعاة الإصلاح الديني الذين شنوا حرباً لا هوادة فيها على الحكم العثماني أملاً في إحياء شرائع الإسلام السمحة ومقاومة الفساد ، وقد أثبتت شبه الجزيرة العربية مهد الدين الإسلامي وحصنه للتاريخ أنها لا تزال مهد الأبطال وأنها قادرة على إنجاب المصلحين حينما أنجبت رجلاً غير وجه التاريخ فيها ذلك هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤسس الحركة الوهابية الذي نادى بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وترك البدع والخرافات ، والتمسك بوجدانية الله المطلقة التي تبلورت وتجسدت في كلمة (لا إله إلا الله) .

الدراسات السابقة

- 1- استعرض (سليمان 1999م) تاثر أهل المغرب بتعاليم دعوة محمد بن عبد الوهاب ومنهم (سيدي محمد بن عبد الله) الذي حارب الصوفية متأثراً بكتب وراء محمد ابن عبد الوهاب وكذلك (مولاي سليمان) الذي قام ضد الزوايا ودعا الي التوحيد .
- 2- اوضح (محمد 1414هـ - 1933م) حقيقة الدعوة الوهابية موضحاً تعاليمها واهدافها الحقيقية التي تقترب في بعض جوهرها من الفكر العلمي الحديث من حيث تصديها للوثنيات والخرافات والبدع التي شوهت تعاليم الاسلام الحقيقية وابتعدتها عن منابعها الاساسية في القرآن الكريم والسنة الشريفة .

3- اوضح (عباس) أن تعاليم محمد بن عبد الوهاب سرت إلي الهند والعراق والسودان وغيرها من الاقطار النائية وادرك المسلمين ان علة الهزائم التي تعاقبت عليهم انما هي في ترك الدين لا في الدين نفسه وأنهم عليهم ان يستردوا مافاتهم من القوة والمنعة باجتناح البدع والعودة الى دين السلف الصالح في جوهره ولبابه.

يهدف البحث إلي: إبراز الدور الذي لعبه محمد بن عبد الوهاب في شبه الجزيرة العربية والنهوض بمجتمعها الإسلامي، وتحليل حركة محمد عبد الوهاب الإصلاحية ورصد ما لها وما عليها، وتسلط الضوء على أثر أفكار محمد بن عبد الوهاب في العالم الإسلامي .

المنهج

سيتم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي لأنه يهتم بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع وتحديد الممارسات الشائعة والسائدة والتعرف إلى المعتقدات عند الأفراد والجماعات وطرائقها في النمو والتطور .

تناولت الورقة البحثية منطقة نجد قبيل دعوة محمد بن عبد الوهاب ثم نشأته وطلبه الى العلم' كما اوضحت الورقة البحثية مبادئ دعوته ومؤلفاته بالاضافة الى تحالفه مع الامير محمد ابن سعود ثم مرحلة الدولة والاثار التي تترتبة على دعوته وقد زيلت الورقة البحثية بتوصيات.

منطقة نجد قبيل دعوة محمد عبد الوهاب:

تشمل منطقة نجد الأجزاء الوسطى من شبه الجزيرة العربية وهي إقليم متوسط الارتفاع وينحدر نحو الشمال الشرقي وينتهي في الجنوب بإقليم صحراوي قاحل هو الربع الخالي ، وفي الشرق بسهل الإحساء وفي الشمال بصحراء النفود التي تتدرج شرقاً وغرباً إلى إقليم الهلال الخصيب ويتخلل هذا الإقليم الكثير من المرتفعات مثل جبل شمر في الشمال وأيضاً جبل طويلة الذي يقطع منطقة نجد من الشمال إلى الجنوب بشكل أقرب ما يكون للهلال .(الجوهري، يسرى 2004م ' ص 273). أما إذا نظرنا لمنطقة نجد قبيل ظهور محمد بن عبد الوهاب نجد أنها كانت من الناحية السياسية تتكون من عدة إمارات ومشيخات صغيرة مستقلة في شؤونها ، وأنها لم تخضع للحكم العثماني كما خضعت أطرافها في الحجاز والإحساء وغيرها وبالتالي لم تشهد منطقة نجد ولاية عثمانيين يأتون إليها ولا حامية تجوب أجزائها(الحصرى' ساطع 1960م ' ص 239) فكانت الإمارة في العيينة لآل معمر وفي الرياض لآل دواس ، وفي الخرج لآل زامل ، وفي الدرعية لآل سعود ، هذا بالإضافة إلى وجود إمارات ومشيخات أخرى صغيرة في غربي نجد وفي وادي الدواسر ، وفي قحطان وغيرها ، وقد كان جميعها تعيش في حالة من الفوضى السائدة في ربوعها ، بل لم يكن لتلك الكتل البشرية نظام

سياسي معروف مما أدى إلى إنعدام الوحدة السياسية بينهم ، لذا كان العداء سائداً في حياتهم والحروب بين الحكام قائمة دائماً كأنها جزء من طبيعتهم ولهذا لم يكن للحرية والأمن مقر في تلك البلاد . (خزعل ' حسين ' د.ت ' ص ص 39-40)

أما الحالة الاجتماعية لمنطقة نجد قبيل ظهور دعوة محمد بن عبد الوهاب فقد كان المجتمع النجدي ينقسم إلى بدو وحضر ، فالقبائل البدوية كان سمتها التجوال بحثاً عن المرعى والمياه ، والإغارة على جيرانهم ، أما القبائل الحضرية فقد انتظموا في مجموعة من الإمارات التي تتفق مع القبائل البدوية في الطباع الصحراوية حيث عاد السكان إلى أساليب الحياة البدوية التي كانوا عليها قبل الإسلام وعادت العصبية القبلية تمزق المجتمع وثقافته بل عاد الغزو والنهب ليكون مصدر العيش في الصحراء (امين ' احمد ' 1971م ' ص 20). أما إذا نظرنا للحالة الدينية في منطقة نجد قبيل ظهور دعوة محمد بن عبد الوهاب فقد كانت مرتعاً للخرافات حتى أوشكت أن تزول معرفة معاني التوحيد في قلوب الناس بل لم يبق لذكر الله أثر في أفواههم ولم يبق من الإسلام إلا اسمه فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وصاروا يستغيثون بالجن ويذبحون لها ويجعلون لها الطعام في زوايا البيوت لتشفي مرضاهم ويتبركون بقبور الأموات ويقدمونها ويحجون إليها وينذرون لها وقد تفشى لديهم الاعتقاد حتى في الأشجار والأحجار وأخذوا يطلبون منها قضاء حاجاتهم ويتوسلون بها لدفع كربهم ورفع الأذى والضر عنهم . ومن أمثلة ذلك أنه كان في بلدة (منفوحة) فحل نحل تؤمه العوانس ليتزوجن فكانت الفتاة منهن عندما تستلمه تخاطبه قائلة (يا فحل الفحول أريد زوجاً قبل الحول) . أما في بلدة (الجبيلة) كان قبر زيد بن الخطاب الذي قصده بعض المسلمين من أجل دعوته لتفريج الكرب وقضاء الحاجات . وكان في الدرعية كهف يقصدونه الناس ويزعمون أنه كان ملجأ لبنت أحد الأمراء التي فرت هاربة من تعذيب أحد الطغاة وأرادت أن تتخذ من أحد الجبال الصخرية مخبأً تحتمي به من ذلك الطاغية فأنشق أحد جبال الدرعية عن الكهف فأوت إليه ، وكان أيضاً في الدرعية مقام لرجل أعمى يدعى (تاجا) كان الناس يتوسلون إليه ليدفع عنهم سوء ويجلب لهم النفع وكانوا ينسبون إليه الكرامات ويدعون أنه كان أعمى ويأتيهم من بلد الخرج لتحصيل النذور دون أن يقوده أحد ليدله على الطريق . (خزعل ' حسين خلف ' مرجع سابق ' ص 42)

في هذه الظروف والأوضاع نشأ محمد بن عبد الوهاب وترعرع وتلقى العلم وأرتوى من منهل الكتاب والسنة ثم ألقى نظرة فيما حوله فرأى إعوجاج وانحراف في العقيدة والسلوك فشمّر عن ساقه لإصلاح ما فسد وتقويم ما إعوج .

نشأة محمد بن عبد الوهاب وطلبه للعلم :

ولد محمد بن عبد الوهاب في بلدة العيينة التي تقع بالقرب من مدينة الرياض - وهي من بلدان نجد - في عام (1115هـ-1703م). (الصعيدى ' عبد المتعال ' د.ت' ص 437) كان والده عبد الوهاب بن سليمان قاضياً شرعياً وكان المعلم الأول لإبنيه . وقد تلقى محمد بن عبد الوهاب في طفولته العلم في بلدته العيينة فحفظ القرآن الكريم قبل بلوغه العاشرة من عمره ، وبلغ مبلغ الرجال وهو في الثانية عشرة فزوجه والده وجعله يؤم المصلين ، وأخذ يسترشد بأرائه فيما يعترضه من فتاوي ومسائل فقهية حتى كان والده يقول عن ابنه (أنه استفاد من ولده محمد فوائد في الأحكام) (ابن غنام ' حسين ' 1961م' ص 75). أخذ محمد بن عبد الوهاب دروسه الأولى عن رجال وهم معروفون بتمسكهم بالقرآن الكريم والسنة الشريفة ومحاربتهم للبدع فتأثر بهم في نشأته (الصعيدى ' عبد المتعال' مرجع سابق ص 237) . وسافر محمد عبد الوهاب إلى المدينة المنورة ليتم تعليمه فيها فبدأ بحج بيت الله الحرام ، ثم أخذ العلم عن الشيخ عبد الله بن إبراهيم النجدي ، كما أخذ العلم عن العلامة محمد المدني ثم خرج من المدينة المنورة قاصداً البصرة التي سمع فيها الحديث والفقه من جماعة كثيرين وقرأ بها علم النحو وأتقنه ، وكان خلال إقامته في البصرة ينكر ما يرى ويسمع من الشرك والبدع ويحث على طريق الهدى والاستقامة معلناً للناس أن الدعوة كلها لله وليس إلى سواه وإذا ذكر أحد بمجلسه تقديس قبور الأولياء والصالحين والتوسل بها إلى درجة العبادة نهاه عن ذلك وزجره وبين له الصواب قائلاً له " إن محبة الأولياء والصالحين إنما هي بإتباع هديهم وآثارهم وليست باتخاذهم آلهة من دون الله" وكان كثير من أهل البصرة يأتون إليه بشبهات يلقونها عليه فيجيبهم بما يزيل اللبس ويوضح الحق ويكرر عليهم دائماً أن العبادة كلها لا تصلح إلا لله وكان بعض الناس يستغربون منه ذلك ويعجبون لما يظهر لهم من شدة وإنكار لعبادة الصالحين والأولياء والتوسل بهم عند قبورهم ومشاهدتهم ، ولما تكرر منه ذلك تجمع أهل البصرة عليه وألحقوا به الأذى وطردوه منها ، فأتجه إلى بلاد الشام ولكن نفقته التي كانت معه ضاعت منه في الطريق فأثتى عائداً إلى نجد ومر في طريقه إليها بالإحساء ونزل فيها على الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الإحسائي ، ثم رحل منها إلى بلدة حريملاء التي كان والده قد انتقل إليها ، فأقام محمد بن عبد الوهاب مع أبيه يتدارس علوم الدين وينادي بضرورة تغيير الحال الذي لا يتماشى مع تعاليم الإسلام في تلك البقاع إلى أن توفي والده عام (1153هـ-1749م). (خزعل ' حسين خلف ' مرجع سابق' ص 59-

(64

تأثر محمد بن عبد الوهاب بدعوة الإمام أحمد بن تيمية الإصلاحية فدرس كتبه ورسائله الإصلاحية التي تستند إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل ويوجد في المتحف البريطاني بلندن بعض رسائل الإمام

أحمد بن تيمية بخط محمد بن عبد الوهاب مما يؤكد دراسته لها. (الصعيدى ' عبد المتعال ' مرجع سابق ' ص 238) وبهذا فقد تأثر محمد بن عبد الوهاب بأراء وعلم الرجلين مما جعله يرى أن الإسلام في شكله السائد في عصره - إبان الخلافة العثمانية - قد دخلته مساوي لا تمت إلى الدين الصحيح بصلة (بروكلمان ' كارل ' 1965م ' ص 549). تملك محمد بن عبد الوهاب رغبة شديدة في إصلاح قومه ودعوتهم إلى الإسلام الصحيح عقيدة ونظاماً مع إبعادهم عن البدع والضلالات والعودة بهم إلى العقيدة الصحيحة . واعتكف عن الناس بضعة أشهر ثم خرج بدعوته الجديدة.

مبادئ دعوة محمد بن عبد الوهاب :

أولاً : التوحيد :

هو عماد الإسلام ويتبلور في كلمة (لا إله إلا الله) والتي تعني أنه لا معبود بحق إلا الله وأن العبادة إذا جعلت لغير الله صار ذلك الغير إلهاً مع الله وإن لم يعتقد الفاعل ذلك . (وهبة ' حافظ ' 1935 ' ص 297)

اعتمد محمد بن عبد الوهاب في دعوته إلى التوحيد على الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح ، فقد ذكر في رسالة له إلى عبد الله بن محمد عبد اللطيف قائلاً (إني لم آت بجهالة بل أقولها والله الحمد أن ربي هداني إلى الصراط المستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ، ولست والله الحمد أدعو إلى مذهب صوفي أو غيره بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له وأدعو إلى سنة رسول الله " صلى الله عليه وسلم" التي أوصى بها أول أمته وآخرهم). (ابن غنام ' حسين ' مرجع سابق ' ص 215) أيضاً من أقوال محمد بن عبد الوهاب لمبدأ التوحيد رسالته إلى عبدالرحمن ابن أبي ربيعة قائلاً فيها (إن التوحيد الذي دعت إليه الرسالة من أولهم إلى آخرهم هو أفراد الله بالعبادة كلها ليس فيها حق لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهم فمن ذلك لا يدع إلا إياه كما قال تعالى : ("إن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً" فمن عبد الله ليلاً ونهاراً ثم دعا نبياً أو ولياً عند قبره فقد اتخذ إلهين اثنين ولم يشهد أن لا إله إلا الله هو المدعو) (المرجع نفسه ' ص 223). إذاً فما بال العالم الإسلامي اليوم يعدل عن هذا التوحيد ويشرك مع الله سبحانه وتعالى كثيراً من خلقه ، فهؤلاء الأولياء يحج إليهم ويقدم لهم النذور ويعتقد أنهم قادرون على النفع والضرر وهذه الأضرحة المقامة في جميع البلدان الإسلامية يشد إليها الرحال ويتمسحون بها ويطلبون منها جلب الخير لهم ودفع الشر عنهم وفي كل بلدة ضريح أو أضرحة تشرك مع الله سبحانه وتعالى في تصريف الأمور ورفع الأذى وجلب الخير كأن الله سبحانه وتعالى سلطان من سلاطين الدنيا الغاشمين يُتقرب إليه بذوي الجاه عنده وأهل الزلفى لديه ويرجون في فساد القوانين وإبطال العدل ، بل أشركوا مع الله سبحانه وتعالى حتى النباتات

والجماد فكيف يخلص التوحيد مع كل هذه العقائد؟ وأساس آخر يتصل بهذا التوحيد الذي كان يفكر فيه محمد بن عبد الوهاب وهو أن الله سبحانه وتعالى وحده هو مشرع العقائد وهو حده يحل ويحرم ، فليس كلام أحد حجة في الدين إلا كلام الله وسيد المرسلين .(امين ' احمد ' مرجع سابق' ص 13-14)

ثانياً : محاربة الإستغاثة بالأولياء والتوسل بهم :

تمثل دعوة محمد بن عبد الوهاب إنبعث ديني يهدف إلى نبذ البدع والخرافات التي تقشت في شبه الجزيرة العربية مثل الإستغاثة بالأولياء والتوسل لهم لقضاء الحاجات وتفريج الكرب فقال لا يجوز تقديم القرابين إلا لوجه الله ولا يجوز طلب المعونة إلا من عند الله سبحانه وتعالى ولا يجوز الإستجارة إلا بالله .(ابن عبد الوهاب ' محمد ' 1347هـ 'ص76) فالأنبياء والرسل والأولياء والصالحين لا يمكن أن يشفعوا للمسلمين أمام الله سبحانه وتعالى على آثامهم .(ابن عبد الوهاب ' محمد ' 1954م 'ص28) ولا يجوز تقديم النذور إلا لوجه الله .(عبد الوهاب ' محمد ' 1346هـ ' ص67) ولا يجوز الإفراط في تبجيل الأولياء والصالحين ولا يجوز الإفراط في العناية بقبورهم وتحويل أضرحتها إلى أصنام بل يجب إحترام الأولياء وتقديرهم ولكن لا يجوز عبادتهم .(المرجع نفسه ' ص 90) ولا يعني ما ذكره محمد بن عبد الوهاب من دعوة التقرب لقبور وأضرحة الأولياء والصالحين وأيضاً الأنبياء أن دعوته تنكر شفاعة النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم القيامة بل أن هذه الدعوة تعترف أيضاً بشفاعة سائر الرسل والأولياء ولكن محبة هؤلاء ليست بالتوسل بهم ولكن متابعتهم فيما كانوا عليه من الهدى والدين (ابن غنام ' حسين ' مرجع سابق' ص213).

ثالثاً : محاربة تقديس القبور :

حرم محمد بن عبد الله البناء على القبور وكسوتها والكتابة عليها وأيضاً زيارتها التي تنجم مفساد عديدة كالتمسح بالقبور في جلب نفع أو صد ضرر أو ما يفعله الناس عندها من الدعاء والصلاة وما يقام عليها القباب والمساجد فضلاً عن السفر إليها .(الخشاب ' احمد ' 1970' ص 361-362) وإذا كانت محاربة محمد بن عبد الوهاب لتقديس القبور منصبة على البناء عليها وما يفعله زائروها من بدع وإقامة قباب وأضرحة ومساجد على هذه القبور فإنه لا ينكر زيارة القبور ولكنه يشترط أن تكون هذه الزيارة للإعطاء والدعاء للميت وتذكرة بالآخرة ويراعي فيها الطريقة التي سنها النبي (صلى الله عليه وسلم) في الزيارة.(وهبة ' حافظ' مرجع سابق' 362) واستناداً إلى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : (أولئك إذا ما منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ، ثم صوروا فيه تلك الصورة ، أولئك شرار الخلق عند الله) (البخاري' ابى عبدالله محمد بن اسماعيل' 1426هـ - 2005م'

ص 261). أمر محمد بن عبد الوهاب بهدم تلك القباب المشيدة إتباعاً بالأحاديث الصحيحة كحديث أبي الهياج الأسدي لما قال له علي بن أبي يطالب : (ألا أبعثك على ما بعثني به رسول الله ؟ (صلى الله عليه وسلم) أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته). (النووي 'أبي زكريا يحي ' د.ت' ص 50). كما منع محمد بن عبد الوهاب من شد الرجال إلى غير المساجد الثلاثة كما جاء في الحديث النبوي (ولا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ، ومسجد الرسول "صلى الله عليه وسلم" ، والمسجد الأقصى) (البخاري 'أبي عبد الله محمد بن اسماعيل' مرجع سابق' ص 231).

رابعاً : إنكار البدع:

أنكر محمد بن عبد الوهاب البدع الشائعة مثل خروج النساء خلف الجنائز إلى القبور، والإسراف في الإحتفالات السنوية بموالد الأنبياء والأولياء وما يحدث فيها من رقص وشطحات الدراويش التي تستحق المحاربة وعلى هذا الأساس كانت غزوات محمد بن عبد الوهاب وجماعته في شبه الجزيرة العربية والعراق، فكانوا عندما يدخلون بلدة للمحاربة يعتبرونها حلالاً لهم إن أمكنهم البقاء بها لحقوها بأملآكهم وإذا لم يمكنهم البقاء اكتفوا بما يصل أيديهم من الغنيمة . وهنا يظهر الخلاف بينهم وبين معارضيتهم فإن غيرهم يقول أن من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد عصم ماله ودمه . أما هم فيقولون أن القول لا عبرة به مالم يدعمه العمل ، فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو لا يزال يدعو الموتى ويستغيث بهم ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكرب فهو كافر مشرك حلال الدم والمال. (وهبة' حافظ' مرجع سابق' ص 298-299).

خامساً : الإجتهد :

كان مذهب الإمام أحمد بن حنبل هو نيراس محمد بن عبد الوهاب وهديه في استنباط الأحكام وإتباع ما أخذ به صاحب المذهب ولكن محمد بن عبد الوهاب أحياناً كان يخالف شيخه الإمام أحمد بن حنبل في بعض الأمور التي يجمع عليها فقهاء المذاهب الأخرى كالمذهب المالكي والحنفي والشافعي بل كان له بعض المسائل الاجتهادية مثل جعل دية المسلم (800 ريال) بدل مائة ناقة. (وهبة' حافظ' مرجع سابق' ص 299).

مؤلفات محمد بن عبد الوهاب :

إلى جانب اشتغال محمد بن عبد الوهاب بالوعظ والإرشاد فقد عكف على التأليف حيث له العديد من الكتب والرسائل نذكر منها (أصول الإيمان) و (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) و (تفسير سورة الفاتحة) و (تفسير شهادة أن لا إله إلا الله) و (فضائل الإسلام) و (كتاب التوحيد فيما يجب من حق

الله على العبد) و (كتاب الكبائر) و (معنى الكلمة الطيبة) و (مفيد المستفيد) و (المسائل التي خالف فيها رسول الله "صلى الله عليه وسلم" أهل الجاهلية). (خزعل 'حسين خلف' مرجع سابق' ص 347-349)

مرحلة دعوة محمد بن عبد الوهاب :

بدأ محمد بن عبد الوهاب دعوته الإصلاحية في بلدة حريملاء بالحكمة والموعظة الحسنة ، ثم أخذ يكتب إلى أمراء شبه الجزيرة العربية و علمائها يدعوهم إلى الله سبحانه وتعالى ونصرة دعوته فتبعه عدد كبير من أهل البلدة الذين تركوا البدع والفجور والشرك وأخذوا يتخلقون بأخلاق الإسلام ويعتقدون عقديته . ومن الطبيعي أن تجد كل دعوة لله أعداء متريصين ممن لا يستطيعون العيش في كنف الإسلام ، وكان في بلدة حريملاء جماعة العبيد العتقاء يسمونهم (الحميان) كانوا على جانب كبير من الفساد حيث كانت مهمتهم في هذه البلدة ممارسة المنكرات فأراد محمد بن عبد الوهاب أن يمنعهم عن الفساد وينفذ فيهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهم العبيد أن يفتكوا به ويقتلوه فهب أتباعه للدفاع عنه ، فأثر الرحيل عن بلدة حريملاء متجهاً إلى العيينة مسقط رأسه باحثاً عن النصير الذي يشد أزره ويحميه حتى ينشر دعوته الإصلاحية في أنحاء منطقة نجد وهو يعلم أن كل دعوة إصلاحية لا تنتصر بقوتها وصدقها بل لا بد لها أيضاً من سلطان يحميها حتى تثمر وتؤتي أكلها . (محمود' حسن سليمان ' 1960' ص61)

وجد محمد بن عبد الوهاب هذا السلطان والنصير في شخص عثمان بن معمر حاكم العيينة الذي أكرمه وزوجه الجوهرة بنت عبد الله بن معمر ولما عرض على عثمان ابن معمر دعوته اتبعه وناصره مما شجعه على نشر دعوته فأعتقها عدد كبير من أهل العيينة التي كان فيها كثير من القباب والمساجد والمشاهد المبنية على قبور الصحابة والأولياء والأشجار التي يعظمونها ويتبركون بها كقبة قبر زيد بن الخطاب في بلدة الجبيلة وكشجرة قريوة وأبي دجانة والزيب ، وفي يوم من الأيام خرج محمد بن عبد الوهاب ومعه عثمان بن معمر وعدد من أتباعهم إلى تلك الأماكن بالمعاول فقطعوا الأشجار وهدموا المشاهد والقباب التي كانت فوق القبور ومنها قبر زيد بن الخطاب ليثبت للذين يقدسونه بأن القبر لا يضر ولا ينفع وقد انتظر الناس البلاء الذي سيحل بمحمد بن عبد الوهاب ولكن لم يصب بأي أذى فزاد إيمان الناس بدعوته(خزعل' حسين خلف' مرجع سابق' ص 114-115) ، كما أقام الحد على امرأة من بلدة العيينة اعترفت بارتكابها الزنا بعد أن تحقق من سلامة عقلها وصحة فعلتها .(خزعل' حسين خلف' المرجع نفسه'ص140) كما أمر حاكم بلدة العيينة بإحياء صلاة الجماعة وفرض عقوبات للمتخلفين عنها ، وألغى محمد بن عبد الوهاب أيضاً

الرسوم والضرائب الباهظة التي يأخذها الأمراء من الرعية وسمح بتنفيذ تشريع الزكاة فاستجاب حاكم
العيينة على تلك الإجراءات. (شلبى ' احمد '1992م' 7 / ص125)

كما تزيص الفاسدون بمحمد بن عبد الوهاب ودعوته في بلدة حريملاء لأنهم وجدوا فيها خطراً على
مصالحهم كذلك هال أمير الإحساء (سليمان بن محمد) أمر صاحب هذه الدعوة التي انتشرت وأتلف
الناس حوله وخاف بذلك على نفسه وحكمه ولهذا أرسل سليمان بن محمد إلى حاكم العيينة خطاباً
يقول فيه (إن المطوع الذي عندك قد فعل ما فعل وقال ما قال فإذا وصلك كتابي فأقتله فإن لم تقتله
قطعنا خراجك الذي عندنا). (ابن بشر ' عثمان ابن عبدالله '1349هـ' ص ص10-11) فلم يسمع
حاكم العيينة إلا الاستجابة لحاكم الإحساء وأحضر محمد بن عبد الوهاب وأبلغه بكل ما حل فاختر
صاحب الدعوة الرحيل إلى بلدة الدرعية قرب الرياض في عام (1158هـ-1744م). (المرجع نفسه'
ص15)

نعزي تصرف سليمان بن محمد تجاه محمد بن عبد الوهاب إلى الضغط الذي مارسه المستأوون من
انتشار دعوة محمد بن عبد الوهاب التي رفضت كل البدع في الفرائض والعبادات وطالبت بالعودة
إلى الكتاب والسنة .

تحالف محمد بن عبد الوهاب مع الأمير محمد بن سعود :

كانت لمحمد بن عبد الوهاب في بلدة الدرعية جماعة من الأتباع منهم ثنيان ومشاري وفرحان إخوان
الأمير محمد بن سعود . نزل محمد بن عبد الوهاب عند أحد تلاميذه وشرع في الاتصال بحاكم
الدرعية وساعد شقيقاً الأمير محمد بن سعود (ثنيان ومشاري) في التقارب بينهما إلا أنه طلب مشورة
زوجته فأشارت عليه بأن يذهب لمحمد بن عبد الوهاب ويكرمه لأنه غنيمة ساقها الله إليه . (المرجع
نفسه' ص11) فاعتنقها الأمير محمد بن سعود وتعاهد مع محمد ابن عبد الوهاب على حماية
الدعوة ونشرها في شبه الجزيرة العربية مستخدماً قوته العسكرية التي أصبحت لا تنتهي بسبب العقيدة
الروحية التي بثها محمد بن عبد الوهاب في جنود الأمير محمد بن سعود والتعصب الديني الذي
ملك شعورهم ودرجة حميتهم للتصميم على إقامة حكم الله سبحانه وتعالى في الأرض . وأنطلق
الدعاة - يؤازرهم الجنود - من داخل شبه الجزيرة العربية إلى كل جهة تلازمهم انتصارات متلاحقة
وتلقاهم أعداداً كبيرة من المريدين والمؤيدين وترتب على ذلك هزيمة القبائل المعارضة للدعوة ونظفوا
المساجد من كل الآيات الزخرفية والصور كما هو الأضرحة والقباب . (شمتز ' باول ' 1394هـ'
1974م' ص113)

مرحلة الدولة:

انتقلت دعوة محمد بن عبد الوهاب بتبني الأمير محمد بن سعود لها من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة لأنها وجدت القوة التي تحميها، ولهذا انطلق المجاهدون ينشرون تعاليم الدعوة في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية ، فلم تمض على ذلك سوى فترة قصيرة حتى انتشرت دعوة محمد بن عبد الوهاب مع الحكم السعودي في بلدان نجد وأيضاً بادية الحجاز ، وعسير ، واليمن ، وترددت أصداؤها في جميع الوطن العربي والعالم الإسلامي.(محمود 'حسن سليمان' مرجع سابق' ص65)

يعتبر الأمير محمد بن سعود المؤسس الأول للدولة السعودية الأولى التي قامت بحماية دعوة محمد بن عبد الوهاب ووضعه الحجر الأول لذلك الأساس ولكن المنية ما لبثت أن عاجلت الأمير محمد بن سعود فتوفى عام (1179هـ-1765م). (خزل' حسين خلف' مرجع سابق' ص263)

خلف عبد العزيز بن محمد بن سعود أباه في إمارة الدولة الجديدة فغزا الإحساء والقطيف وبسط نفوذه على بلدان ساحل الخليج العربي وعمان وغزت قواته كربلاء فهدموا الأضرحة المقدسة لدى الشيعة مما كان له أسوأ الأثر في نفوس الشيعة ولكن بالرغم من الانتشار الواسع الذي حققته دعوة محمد بن عبد الوهاب في عهد الأمير عبد العزيز ابن سعود فقد أصيبت بصدمتين شديتين كانت الأولى وفاة مؤسس الدعوة الوهابية محمد ابن عبد الوهاب في الدرعية عام (1206هـ-1791م) ، وكانت الصدمة الثانية هي اغتيال الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود في عام (1218هـ-1803م). (ابن بشر' عثمان بن عبدالله' مرجع سابق' ص123)

يعزي هدم أتباع محمد بن عبد الوهاب للأضرحة الشيعية في العراق لمغالاتهم في العقيدة وتزمتهم الشديد حيث كثيراً منهم كانوا من البدو الذين أساءوا فهم مبادئ محمد ابن عبد الوهاب التي ارتكزت على التوحيد والاجتهاد .

في عهد سعود بن عبد العزيز (1218-1229هـ/1803-1814م) بلغت الدولة السعودية أقصى إتساعها حيث ضمت إليها كل من مكة ، والمدينة المنورة ببلاد الحجاز وأصبحت قوية تهدد الدولة العثمانية (الخطيب' عبدالكريم' 1974' ص69). شعرت الدولة العثمانية بالخطر يهددها بعد خروج أرض الحجاز (موطن الحرمين الشريفين) من يدها ، ومن ثم أخذت السلطة العثمانية تعمل على قبح الدعوة الوهابية في مكانها قبل أن تنتسج آفاقها في العالم الإسلامي فأرسل السلطان العثماني محمود الثاني إلى والي مصر محمد علي باشا طالباً منه إرسال جيوشه للقضاء على أتباع الدعوة الوهابية ، وكما أرسلت الجيوش لمقاتلتهم أرسلت الدعاية من جميع الأقطار الإسلامية للنيل من يؤلفون الكتب ويخطبون الخطب على المنابر يرمون أتباعهم بالخروج على الإسلام . وقد انتهز السلطان العثماني محمود الثاني فرصة الغضب الذي حل بالمسلمين عامة بسبب ما قام به أتباع الدعوة الوهابية من

هدم لكثير من القباب بمكة مثل قبة السيدة خديجة ، أما في المدينة فقاموا برفع بعض الحلي والزينة التي كانت على قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم). (امين ' احمد ' مرجع سابق 'ص22) وأيضاً استغلوا ثورة أهل تركيا ومصر والشام والعراق بسبب ما أشيع عن منع حجاجهم من أداء فريضة الحج من قبل الوهابيين وكذلك أيضاً أنتهز السلطان العثماني محمود الثاني ضيق أهل الحجاز الذين كرهوا الحكم السعودي لأنه قطع عنهم الحجاج وحال بينهم وبين ما كان يردهم من الصدقات وقطع لهم ما كان مرتباً لهم من الإحسانات (وهبة ' حافظ' مرجع سابق 'ص218). طلب السلطان العثماني محمود الثاني من محمد علي باشا والي مصر إعداد حملة للقضاء على الحركة الوهابية وإعادة المدينتين المقدستين مكة والمدينة المنورة إلى الحكم العثماني . واستجاب محمد علي باشا إلى طلب السلطان العثماني حيث جهز جيشاً ضخماً وبعث به إلى بلاد الحجاز بقيادة ابنه طوسون الذي استولى على ميناء ينبع دون مقاومة حتى تمكن من الاستيلاء على المدينة المنورة في عام (1227هـ-1812م) وتقدم فاستولى على جدة ومكة في عام (1228هـ-1813م) وبهذا استطاع طوسون السيطرة على إقليم الحجاز وضمه للسيادة العثمانية.(عبدالرحمن ' عبدالرحيم' 1969'ص213)

بعد عودة طوسون إلى مصر عهد محمد علي باشا إلى ابنه إبراهيم باشا بحرب أتباع الوهابية فاستطاع دخول الدرعية مركز مقاومة الوهابيين في عام (1233هـ-1818م) والقبض على الأمير عبد الله بن سعود وأرسله إلى الإستانة وبهذا انهارت الدولة السعودية الأولى .(المرجع نفسه'ص400-401)

لم ينتهي الصراع بين السعوديين والعثمانيين بانتهاء الدولة السعودية الأولى على يد إبراهيم بن محمد علي باشا حيث ظهر على مسرح الأحداث في نجد أحد الأمراء السعوديين ألا وهو تركي بن عبد الله الذي أسس الدولة السعودية الثانية في عام (1234هـ-1819م) ولكنه لم يستقر له الأمر حتى أقتيل في عام (1249هـ-1834م) فخلفه ابنه فيصل الذي دخل في معارك حامية ضد القوات العثمانية إلا أنه رأى ليس له القدرة على مقاومة حكومة الإستانة فاستسلم وأرسل إلى مصر في عام (1253هـ-1838م) حيث تم سجنه (وهبة' حافظ' مرجع سابق' ص222-224) وتمكن فيصل من الفرار من مصر وعاد إلى نجد واستعاد نفوذه فيها ما عدا إقليم الحجاز واستمر يحكم دولته حتى وفاته في عام (1282هـ-1866م) . وخلفه ابنه سعود بعد أن دخل في نزاع مع أخيه عبد الله وانتزع منه الإمارة وساءت أحوال نجد في أيام سعود حتى توفي في عام (1292هـ-1875م) وأخذ نجم آل سعود في الأفول وأصبحت الكلمة العليا في نجد لآل الرشيد الذين كانوا عمال السعوديين بالأمس

وتمكن محمد بن الرشيد أمير حائل في شمالي نجد من الاستيلاء على الرياض عاصمة السعوديين ثم الاستيلاء على سائر أنحاء نجد . لم يرض عبد الرحمن بن فيصل لنفسه أن يكون تحت رحمة ابن الرشيد بالرياض فثار ضده ولكن قوة ابن الرشيد أجبرته على مغادرة نجد والذهاب إلى الكويت حيث نزل ضيفاً على أميرها مبارك بن الصباح في عام (1309هـ-1891م) (محمود وحسن سليمان ' مرجع سابق ' ص92)

في عام (1319هـ-1901م) خرج عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل من الكويت ومعه أربعون رجلاً من آل سعود والموالين لهم قاصداً الرياض وتمكن من الاستيلاء عليها وأن يسترد ملك آباءه وأجداده بعد القضاء على حكم ابن الرشيد كما تمكن من طرد العثمانيين من نجد في عام (1324هـ-1906م) وتصلح مع الشريف حسين حاكم مكة الذي كان يهدد ممتلكاته في نجد كما تمكن من السيطرة على إقليم الأحساء في عام (1331هـ-1913م) وهكذا تمكن عبد العزيز بن سعود من تأسيس الدولة السعودية الثالثة في عام (1350هـ-1932م) والتي ما زالت قائمة حتى الآن . (وهبة ' وحافظ ' مرجع سابق ' ص238).

آثار دعوة محمد عبد الوهاب

كان لمبادئ محمد عبد الوهاب أثر عظيم تجلى في الظواهر المتشابهة التي ظهرت في جهات نائية في العالم الإسلامي لا في بلاد شبه الجزيرة العربية فحسب والتي نشأت دون ريب نتيجة لأثر هذه الدعوة الجديدة ، أو أن التقارب في ظهور دعوات مختلفة في البلاد الإسلامية دليل على أن الدعوة الوهابية كانت إرهاباً لمعظم هذه الدعوات التي جاءت بعدها . (جمعة ' رباح لطفى ، رجب 1299هـ- يونيو 1979م ' 25/ ص82) كما يبدو لنا أن تأثير دعوة محمد بن عبد الوهاب إما مباشر كالذين درسوا دعوته واطلعوا عليها عبر التجارة والحج في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين حيث كان ارتباطاً وثيقاً في العالم الإسلامي وأما غير مباشر بقيام حركات متشابهة أو موازية أو أفكار إصلاحية لبعض المصلحين الإسلاميين بسبب وجود تشابه كبير في المبادئ . (المرجع نفسه ' ص80)

في بلاد الهند حمل الدعوة الوهابية السيد أحمد الذي حج في عام (1237هـ-1822م) وهناك التقى بالوهابيين وسمع منهم وأقتنع بتعاليمهم ورأى ضرورة نشرها في وطنه وعندما عاد قام بالدعوة إلى تعاليم الدعوة الوهابية مبيناً لبني وطنه المسلمين أنهم يعتقدون الإسلام اسماً فقط لأن حياتهم لازالت تحمل الطابع الهندوسي والاحتفالات التي يقيمونها في أعيادهم توجهها معتقدات الهندوس ، وكذلك القانون الذي ينظم شؤون حياتهم وقد تعثر انتشار الدعوة الوهابية في الهند بسبب صعوبة تنفيذ

تعاليمها حيث سلك الدعاة طريق الحرب فأقاموا مملكة في (بنجاب) وأعلنوها حرباً ضد من يعارض مذهب الدعوة الوهابية وظلت هذه المملكة تدعو إلى الجهاد في سبيل الله حتى سقطت أمام الغزو البريطاني وبالرغم من الهزيمة السياسية واصل السيد أحمد الدعوة إلى اعتناق الوهابية وبعد وفاته توارثها أتباعه ، كما أخذت تلك التعاليم الوهابية طريقها إلى جزيرة سومطرة على يد الحجاج الذين زاروا مكة وأعجبوا بتعاليم الدعوة الوهابية فاعتنقوها . (شمتز ' بول' مرجع سابق' ص ص 116-119)

يمكننا أن نجد تأثيراً للدعوة الوهابية في حركة السيد أمير علي في كلكتة فهو مصلح عملي كان يرى ضرورة علاج شؤون المسلمين السياسية في الهند ، وله كتابان هما (مختصر تاريخ العرب) و (روح الإسلام) ففي الأول لخص تاريخ الإسلام وعني بوصف حالتهم الاجتماعية ، وفي الثاني عني بوصف الدين الإسلامي وأبان أن تعاليمه تدعو إلى التطور والرقى المستمر ، ومقدمته من أبداع ما كتب عن الإسلام وقد أفرغ فيها - كما قال - قلبه وكان أهم ما يمتاز به الإخلاص للعقيدة ، عقيدته في دينه ، وعقيدته في قومه ، وعقيدته في وطنه . (أمين 'احمد' مرجع سابق' ص ص 149-156)

من أوضح تأثيرات دعوة محمد بن عبد الوهاب في مصر ما قام به الشيخ محمد عبده من الأمر بترك البدع فأجابه بعض اناس وأنكر عليه بعضهم. (المرجع نفسه' ص 20) أما في تونس فقد تأثر بها خير الدين باشا التونسي (1225 - 1307هـ/1810-1879م) وألف كتاباً سماه (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) شرح في مقدمته حال المسلمين وحاجتهم إلى الإصلاح وطريقته موضعاً أن الأمم الإسلامية لا تصلح إلا بنظام الشورى الذي يفيد الحكام وأن العدل والحرية هما ركنا الدولة (المرجع نفسه' ص ص 172-176).

في زنجبار ظهرت طائفة كبيرة من المسلمين اعتنقوا تعاليم الدعوة الوهابية وأسسوا حركة تدعو إلى محاربة البدع وعدم التقرب بالأولياء ، أما في اليمن فقد ظهر الإمام الشوكاني فسار على نهج محمد بن عبد الوهاب وله مؤلفات منها كتاب (نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار) الذي شرح فيه كتاب الإمام ابن تيمية (منتقى الأخبار) عارضاً الأحاديث النبوية مجتهداً في فهمها ، وفي استنباط الأحكام الشرعية منها ولو خالف المذاهب الأربعة كلها ودعا إلى الاجتهاد كما حارب التقليد وله رسالة في ذلك سماها (القول المفيد في حكم التقليد) ودعا بقوة إلى عدم زيارة القبور والتوسل بها. (أمين 'احمد' مرجع سابق' ص ص 23-24)

كان العلامة مفتي بغداد محمود شكري الألوسي صاحب (تفسير روح المعاني) من دعاة الإصلاح وله ترجمة ضافية للشيخ محمد بن عبد الوهاب في بداية حركته وتعداد منصفاته وسرد مبادئه وتفعيل مجالسه ومناقشاته العلمية. (العقاد 'عباس محمود' 1969م' ص ص 119-128)

كان الشيخ عثمان دان فوري أحد الذين اعتنقوا تعاليم الدعوة الوهابية وتعصب لها ، وأسس حركة تدعو إلى تعاليم الدعوة الوهابية فقد التقى عثمان دان فودي - الذي جاء من شمال نيجيريا إلى مكة حاجاً - بالوهابيين وأطلع على كتب الدعوة الوهابية فتشرب بمبادئ الدعوة الوهابية وتحمس لها فأيقظت في نفسه رغبة ملحّة في إصلاح المجتمع في بلاده ومحاربة البدع والخرافات التي تفتشت في بلاده حيث اختلطت تعاليم الإسلام بالعادات الوثنية وارتد بعض المسلمين عن دينهم . (الالوري 'ادم عبدالله' 1956م' ص 31)

بدأ الشيخ عثمان دان فودي بعد عودته من الأراضي المقدسة يدعو الناس إلى دين الله وتصحيح عقائدهم ومحاربة البدع وأنكر تعظيم أضرحة الأولياء ، وحارب شرب الخمر ، وفساد الأخلاق أي أنه أهتم بتربية الناس على أسس إسلامية متبعاً فيها أسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . (حسن 'حسن' 'ابراهيم' 1984' ص ص 119-120) كما قام أيضاً بالدعوة إلى إقامة السنة الشريفة على طريق الوعظ التعليمي والإرشاد الديني فقد كان معلماً وصاحب درس للذكور والإناث كما كان عالماً وفقهياً مفتياً . وفي سبيل نشر الدعوة الإسلامية سافر الشيخ عثمان دان فودي إلى عدة أماكن داخل بلاد الهوسا بشمال نيجيريا لإرساء قواعد الإسلام . (ابن عثمان فودي 'محمد بيلو' 1383هـ- 1964م' ص 400) وقد قابل ملوك الهوسا عمل الشيخ عثمان دان فودي وجماعته بتعقبهم أينما ذهبوا فلم يجد الشيخ عثمان دان فودي بدأً من إعلان الجهاد واستجابت له عشائر الفلاني والهوسا والتابعين له وانضموا إلى جيشه وبايعوه على الجهاد وطاعة الله ورسوله كما بايعوه أميراً للمؤمنين واستقر في صكتو وأخذ ينظم فتوحه. (حسن 'ابراهيم' 'حسن' مرجع سابق' ص 120)

قام الشيخ عثمان دان فودي بواجب الجهاد وبنى دولته على أسس الجهاد والفتح والهجرة فعقد اللواء لأربعة عشر من أصحابه وأحرزوا نصراً على ملك جوبيير وحلفائه من الطوارق وأثارت هزيمتهم الهلع والخوف في بلاد الهوسا ولما كانت الحماسة الدينية تدفع أولئك المجاهدين إلى طلب الشهادة تمكنوا في عام (1225هـ-1810م) من إخضاع إمارات الهوسا لنفوذهم. (شليبي 'احمد' 1992م' 6/ ص 228) وهكذا تأسست دولة وهايبية جديدة في أفريقيا تقوم على أساس ديني وكانت (صكتو) الواقعة قرب نهر النيجر عاصمتها وصمدت هذه الدولة رغم مضايقات القوى الاستعمارية حتى عام (1318هـ-

1900م) وساعدت قوة سلطانها وتماسكها الداخلي على انتشار الإسلام في مناطق غرب أفريقيا (شميتز 'باول' مرجع سابق 'ص117).

في شمال أفريقيا ظهر محمد بن علي السنوسي الذي يتزعم طائفة إسلامية كان للدعوة الوهابية أثر كبير في ظهورها حيث قادت هذه الطائفة مقاومة عنيفة في ليبيا ضد قوات الاستعمار الإيطالي ويرجع الفضل في ذلك إلى تعاليم الوهابية التي أثرت تأثيراً غير مباشر على التنظيمات السنوسية التي تعرف باسم (الأخوة) فعملت على عودة الإسلام إلى شمال أفريقيا. (المرجع نفسه 'ص119)

هنا في السودان حركة محمد احمد بن عبد الله المهدي التي بدأت في عام (1298هـ-1881م) وهي بمثابة حركة توحيد في جوهرها نادى بالعودة إلى أصل الدين الإسلامي المتمثل في الكتاب والسنة فقد دعا محمد المهدي في أحد منشوراته إلى توحيد الله قائلاً (يا أحبائي فقد بايعتموني على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تأتوا ببهتان ولا تعصوني في معروف وإن تزهدوا في الدنيا وتبذلوا أنفسكم وأموالكم في سبيل الله ... فإن بيعتكم هذه هي بيعة الله ورسوله إذ أن من بايعني فقد بايع الله ورسوله ... فوحدوا الله في كل شيء ... وكل من ينظر إلى شيء دون الله وأثر في قلبه أنه ينفع أو يضر فقد أشرك...). (ابوسليم 'محمد ابراهيم' 1969' ص ص28-29) وفي منشور آخر يقول محمد المهدي (لا تستغيثوا بجدد دون الله ، ولا تطلبوا أحداً دون الله ولو نبياً رسولاً ، أو ملكاً فجميع الأنبياء والمرسلين دعوا إلى وحدانية الله فلا تتوهموا وتتسبوا إلى رجل صالح شيئاً أو تطلبوا منه شيئاً فإن ما سوى الله يقطع النظر عن الله تعالى ... فلا تشركوا بالله شيئاً وراعوا حق الله في حقه). (دار الوثائق القومية بالخرطوم 'مهدي' 107/5/8' ص46) وفي هذا المنشور تجسيد لتعاليم محمد بن عبد الوهاب .

مناقشة تقويم دعوة محمد بن عبد الوهاب

إذا ذهبنا نبحث عن دعوة محمد بن عبد الوهاب في مصادرها وجدنا أنها لا تختلف عن مذهب الإمام أحمد بن حنبل وهي دعوة قد عادت بالنفع على نجد وبلاد الحجاز إذ أمانت كثير من البدع وقضت على ألوان من الضلالات فمذهبها مذهب الإمام أحمد بن حنبل وليس فيما تدعو إليه ما ينافي السنة ولا يتفق مع القرآن الكريم . وهذه الدعوة ضد إقامة القباب حول القبور والأضرحة والصلاة فيها وإقامة المباخر وطلب الشفاعة من أصحابها والإسلام ينكر هذا ونهى عنه وليس في الإسلام وسيط بين المسلم وربه وليس هناك من يشفع عنده إلا بإذنه . وهكذا بعثت دعوة محمد بن عبد الوهاب في الإسلام النهج المتشدد الذي يرفض كل البدع ويدعو إلى العودة إلى الكتاب والسنة

حيث يقول الدكتور طه حسين (إن هذا المذهب ... ليس إلا الدعوة القوية إلى الإسلام الخالص النقي المظهر من شوائب الشرك والوثنية). (القطار 'احمد عبدالغفور' 1943م 'ص151).
مما يؤخذ على دعوة محمد بن عبد الوهاب أنها فتحت باب الاجتهاد ولكنها وقفت جامدة على تقليد مذهب الإمام أحمد بن حنبل ولم تأخذ مما دعا إليه ابن تيمية إلا ما يتعلق بالعقائد ولا يذكر لمحمد بن عبد الوهاب في الاجتهاد إلا بعض المسائل التي ليست ذات أهمية كجعله دية المسلم ثمانمائة ريالاً بدلاً عن مائة ناقة مع أن الإسلام في حاجة إلى الاجتهاد آنذاك (الصعيدى 'عبدالمتعال' مرجع سابق 'ص441). يقول الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه (الإسلام في القرن العشرين حاضره ومستقبله) إن المنبع الذي صدرت عنه الحركتان حركة ابن تيمية وحركة محمد ابن عبد الوهاب وأحد هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل ولكن محمد بن عبد الوهاب تأثر كذلك بحركة ابن تيمية وقرأ كتبه ورسائله وفتاواه وتفهمها وأخذ عنها وترسم خطاه وأخذ بأرائه كما تأثر كذلك بكتب تلميذه ابن تيمية الجزوية وأرائه ومما يثبت هذا كله أن بعض رسائل ابن تيمية الموجودة في المتحف البريطاني مكتوبة بخط يد محمد بن عبد الوهاب فهي مما كان ينسخه لنفسه وهو في رسائله التي كتبها لشرح دعوته أو لمناقشة معارضييه كان يعتمد على آراء ابن تيمية وابن القيم الجزوية ويستشهد بأقوالهما (العقاد 'عباس' محمود 'مرجع سابق' ص126).

صور الأستاذ أحمد أمين دعوة محمد بن عبد الوهاب أبلغ تصوير حين ذكر أن هذه الدعوة كانت (وهكذا كانت دعوته حرباً على كل ما ابتدع بعد الإسلام الأول من عادات وتقاليده. فلا اجتماع لقراءة مولد، ولا احتفاء بزيارة قبر، ولا خروج للنساء وراء الجنازة ولا إقامة أذكار يغنى فيها ويرقص، ولا محمل يتبرك به ويتمسح. فكل هذا مخالف للإسلام الصحيح ويجب أن يزول ويجب أن نعود إلى الإسلام في بساطته الأولى وطهارته ونقاؤه ووحدانيته واتصال العبد بربه من غير واسطة ولا شريك فلا إله إلا الله معناها كل ذلك ... ولم ينظر محمد بن عبد الوهاب إلى المدنية الحديثة وموقف المسلمين منها، ولم يتجه في إصلاحه إلى الحياة المادية كما فعل معاصره محمد علي باشا وإنما اتجه إلى العقيدة وحدها والروح وحدها. فعنده أن العقيدة والروح هي الأساس وهي القلب إن صلحا صلح كل شيء، وإن فسدا فسد كل شيء). (أمين 'احمد' مرجع سابق 'ص 16-17)

الخاتمة

ما لا شك فيه أنه رغم السلبية التي لحقت بدعوة محمد بن عبد الوهاب فإن ظهوره ودعوته الإصلاحية كانت مبعثاً لدعوات إصلاحية من بعده شملت الأمة الإسلامية كلها بعد ركود خيم على العقول ، وأيضاً في أنها كانت دعوة رائدة في مبادئها تدعو إلى وحدانية الله وعدم الشرك به ولكن

الجديد فيها هو ظهورها في زمن بدأ فيه كل شيء مخالف لما درج عليه الناس منذ سنوات وأصبح من عاداتهم يعتبر بدعة مدعاة للاستنكار وإذا كانت دعوة محمد بن عبد الوهاب لقيت معارضة فإن ذلك سنة كل جديد على القوم في كل زمان وأيضاً في كل مكان. هذا مجمل دعوة مجدد (القرن الثاني عشر الهجري الموافق القرن الثامن عشر الميلادي) محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الذي خلص الإسلام من البدع والخرافات وأقام دولة للإسلام تطبق شرعه وتلتزم بمنهجه. توصى الدراسة بالآتي: يجب ان نتعلم من سيرة محمد بن عبدالوهاب مايفيدنا فى حاضرنا ومستقبلنا فنعيد الحكم بشريعة الله سبحانه وتعالى ' ونتخلق بخلق القرآن الكريم ونطبق حكم القرآن الكريم لغة وعقيدة وشريعة ومثلاً علياً ونتمسك بالقرآن الكريم وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حتى نتمكن من ترقية الدين الاسلامى من البدع والخرافات.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر:

كتاب المنشورات ، الجزء الأول ، من منشورات المهدي (طبعة حجرية) ، تحت الرقم 107/5/8 بدار الوثائق القومية بالخرطوم .

ثانياً : المراجع:

- ابن بشر ' عثمان بن عبدالله ' 1349هـ ' عنوان المجد فى تاريخ نجد ' ج 1 مكة .
ابن عبد الوهاب ' محمد ' 1346هـ ' كتاب التوحيد ' المكتبة المنيرية ' القاهرة 1347هـ ' مسائل الجاهلية ' المطبعة السلفية ' القاهرة . 1954م ' مفيد المستفيد فى كفر طريق التوحيد ' لقاهرة .
ابن عثمان فودى ' محمد بيلو ' 1964م ' انفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور ' دار مطابع الشعب ' القاهرة ' تحقيق على عبدالعظيم واخرون
ابن غنام ' حسين ' 1961م ' تاريخ نجد ' المسمى روضة الافكاروالافهام لمرتاد حال الامام وتعدد غزوات ذوى الاسلام ' القاهرة .
ابوسليم ' محمد ابراهيم ' 1969م ' منشورات المهدي ' بيروت .
الالوري ' آدم عبدالله ' 1956م ' تاريخ الاسلام فى نيجيريا ' بيروت .
البخاري ' ابي عبدالله محمدبن اسماعيل ' 1426هـ - 2005م ' صحيح البخارى ' ج 1 ط 1 دار البيان العربى .
الجوهري ' يسري ' 1960م ' الوطن العربى دراسة فى الجغرافيا التاريخية والاقليمية ' بيروت '

- الحصرى 'ساطع' 1960م 'الدولة العثمانية والبلاد العربية' بيروت.
- الخشاب 'احمد' 1970م 'الاجتماع الدينى مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية ط3' مطبعة القاهرة الحديثة.
- الخطيب 'عبدالكريم' 1974م 'الدعوة الوهابية' ط2' القاهرة
- الصعيدى 'عبدالمتعال' د.ت 'المجددون فى الاسلام من القرن الاول الى الرابع عشر .
- العتار 'احمد عبدالغفور' 1943م 'محمد بن عبدالوهاب' مطبعة الاستقامة.
- العقاد 'عباس محمود' فبراير 1969م 'الاسلام فى القرن العشرين حاضره ومستقبله' ط2' دار الكتاب العربى 'بيروت.
- النوى 'ابى زكريا يحيى بن شرف (د.ت)' 'صحيح مسلم بشرح النووى ج4' مكتبة الايمان 'المنصورة
- امين 'احمد' 1971م 'زعماء الاصلاح فى العصر الحديث' ط3 القاهرة.
- بروكلمان 'كارل' 1965م 'تاريخ الشعوب الاسلامية' بيروت 'تعريب نبيه امين ومنير البعلبكي .
- جمعة، رابح لطفى: انتشار الدعوة الوهابية فى العالم الاسلامى ، مجلة الفيصل ، العدد (25) ، رجب 1299هـ - يونيو 1979م، الرياض.
- حسن 'ابراهيم حسن' 1984م 'انتشار الاسلام فى القارة الافريقية' ط3' مكتبة النهضة المصرية' القاهرة.
- خزعل 'حسين خلف' د.ت 'تاريخ الجزيرة العربية فى عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب' بيروت.
- ستودارد 'لوثر وب' د.ت 'حاضر العالم الاسلامى ' ج1' ط3' دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 'ترجمة عجاج نويهض .
- شلبى 'احمد' 1992م 'موسوعة التاريخ الاسلامى مجلد رقم(6) مكتبة النهضة المصرية ' القاهرة. موسوعة التاريخ الاسلامى مجلد رقم (7) مكتبة النهضة المصرية القاهرة.
- شميتز 'باول' (محرم 1394هـ - 1974م) 'الاسلام قوة الغد' مكتبة وهبة القاهرة' ترجمة د. محمد شامة.
- عبد الرحمن 'عبد الرحيم' 1969م 'الدولة السعودية الاولى' القاهرة.
- محمود 'حسن سليمان' 1960م 'المملكة العربية السعودية' القاهرة.
- وهبة 'حافظ' 1935م 'جزيرة العرب فى القرن العشرين' القاهرة.

